أبرز المعوقات التي تحد من إجراء البحوث العلمية في التعليم العالي بالجزائر

د. تليوانت عقيلة

جامعة مولود معمري - تيزي وزو -

الملخص:

يعتبر البحث العلمي من ضرورات هذا العصر، فهو المحرك لكل تقدم في كافة المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. ومن المسلم به أن كل دولة من دول العالم المختلفة تسعى إلى إحداث قفزة نوعية نحو بلوغ التطور العلمي و المعرفي بجميع أبعاده، و الذي يلزم لتحقيقه توافر مجموعة من العوامل و تضافرها لاسيما رؤوس الأموال و التكنولوجيا الحديثة إذ يأتي في مقدمة أولويات كل دولة إمكانية تطوير البحث العلمي و جعله يواكب تطلعات و اهتمامات الدولة.

فالدول المتطورة و الصناعية لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بفضل تشجيعها و سهرها الدائم على تطوير البحث العلمي و لعل الدول النامية و منها الجزائر أحوج ما تكون إلى تطوير هذا المجال و تنميته حيث نرى أن البحث العلمي بصفة عامة يتخبط في مشاكل كثيرة مما أدى إلى عدم تطوره، و عدم حل معظم المعضلات التي تنقل كاهل حياة الأفراد في مجالات مختلفة و لغرض النهوض بهذا الواقع المتواضع للبحث العلمي في الجزائر فان على مختلف مؤسساتنا الاجتماعية و التربوية لاسيما السياسية منها ممارسة دورها المنشود في النهوض بهذا الواقع عبر تبني خطوات علمية و أساليب تربوية صحيحة و دعمها ماديا و معنويا للارتقاء بالبحث العلمي و التخلص من المشاكل التي تحد من إجراء البحوث العلمية و التي سنذكرها لاحقا.

Summary :

We present and discuss the state of scientific research in the Algeria ,and compare it with the status of the scientific research in the western world .we find that the scientific research in the Algeria is not productive ,scattered ,low profile ,and did not provide solutions to the community problems or valuable scientific knowledge.

According to the findings the research submits a number of recommendations and proposals.

لقد تعددت وسائل حصول الإنسان على المعرفة، إلا أن الأسلوب العلمي بما يتضمنه من بحث و استقصاء وفق خطة منظمة أصبح الوسيلة الأساسية التي يعول عليها الإنسان في حل مشكلاته القائمة و مواجهة التحديات المتجددة، و تتضاعف بالتالي حاجة المسؤولين إلى الاعتماد على نتائج البحث العلمي كأساس لاتخاذ قراراتهم في مختلف أوجه النشاط الإنساني و مجالاته .

و لعل الحاجة إلى البحث العلمي في مجالات الطب و علم النفس و التربية و الرياضيات و الاقتصاد أو حتى في البحوث المهنية التي تلزم الحصول على المعرفة اللازمة لحل المشكلات و التطوير لا تختلف باختلاف هذه المجالات و إنما تتنوع بتنوع المشكلات و بدرجة تعقدها، بالإضافة إلى ما تفرضه الطبيعة المتميزة لهذه المشكلات من تنوع في أفراد الدراسة و إجراءات جمع البيانات أو طرق تحليلها.

و يقوم البحث العلمي على طلب المعرفة و تقصيها و الوصول إليها، استنادا إلى مناهج محددة في تقصيه لهذه المعرفة (1). فالبحث العلمي هو نشاط علمي منظم يسعى إلى الكشف عن الحقائق و معرفة الارتباط بينها و استخلاص المبادئ العامة و القوانين التفسيرية. و البحث العلمي عند عبيدات (1996) ما هو إلا محاولة منظمة توجه لحل المشكلات الإنسانية في مجالات متعددة. و عرف درة (1989) البحث العلمي بأنه محاولة ذهنية لحل مشكلة معينة، و يكون هدفه البحث عن الحقيقة (2).

1 واقع البحث العلمي:

يرى المهتمون بالتعليم الجامعي من خلال خبراتهم و ملاحظاتهم و واقع البحث العلمي و منشوراته في الجامعات، أن البحث العلمي في الوطن العربي لا يزال متواضعا في المجالين النظري و التطبيقي و يكون آخره سلم أولويات هذه الجامعات فبينما تشكل الأعباء الوظيفية للبحث العلمي في الدول المتقدمة 33% من مجموع أعباء عضو هيئة التدريس، نجد أن نشاطات البحث العلمي التي يقوم بها عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية لا تشكل في أحسن الأحوال أكثر من (5%) من مجموع أعباء الوظيفية .

إضافة إلى البحث العلمي في الجامعات العربية موجه و في أغلب الأحيان لأغراض الترقية الأكاديمية و التثبيت و نادرا ما يوجه إلى معالجة قضايا المجتمع و مشكلاته و همومه (3).

إضافة إلى ذلك عدم توفر التدريب المناسب من أجل تأهيل أعضاء هيئة التدريس لاستخدام شبكة المعلومات الدولية الانترنت لغرض البحث العلمي. و تشير دراسة مغاوري (2009) إلى وجود علاقة عكسية بين استخدام الأنترنت و الدرجة الأكاديمية ينخفض معدل الاستخدام للانترنت، لذلك نجد أن هذه المؤثرات التي

سبق ذكرها تشير إلى أن الواقع لازال ضعيفا و أن حركة البحث العلمي في جامعاتنا تنطلق من مصلحة ذاتية للباحث(4).

2- أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في الباحث:

- ✓ قدرته على اختيار موضوع جديد للدراسة أو موضوع لم ينته البحث فيه.
- ✓ قدرته على اختيار الخطة المناسبة للبحث.
- ✓ استقلال شخصيته و عدم تسليمه بكل ما يقرأ.
- ✓ شعوره الدائم بأنه قادر على الابتكار في الموضوع الذي يبحث فيه.
- ✓ ضرورة امتلاكه نظرة منهجية متكاملة للموضوع الذي يدرسه حتى لا يقع في التناقض.
- ✓ أن يحب بحثه ليكون قادرا على العمل به، و ليس المقصود هنا أن يتحمس للموضوع بحيث لا يرى فيه السلبيات و إنما يتحمس للبحث فيه.
- ✓ الصبر و الهدوء و التعقل و الإصغاء الجيد للرأي الآخر .
- ✓ إن يكون واسع الاطلاع في اختصاصه.
- ✓ أن يمتلك القدرة على التعبير (5).

3- أبرز معوقات التي تحد من إجراء البحوث العلمية في التعليم العالي بالجزائر:

من أهم المشاكل أو المعوقات التي يواجهها البحث العلمي في الجزائر نذكر ما يلي:

*انفصال البحث العلمي عن المجال التطبيقي و مشكلات المجتمع:

يبدو أن حركة البحث العلمي في العالم العربي ككل غير موجه بسياسات مدروسة و يغلب عليها الطابع الذاتي، و أن غياب التنسيق بين الجهات المنتجة للبحث و الجهات المستهلكة له كان أبرز هذه المعوقات. ففي دراسة معمريّة في الجزائر أشارت إلى هذا المعنى، و تعكس النزعة الفردية التي تسعى للحصول على الترقية العلمية أو الدرجة الأكاديمية.

*تدني نسبة الإنفاق على البحث العلمي:

يتضح من خلال مراجعة الدراسات ضالة الإنفاق و تدني مستوى الدعم المخصص للبحث العلمي في العالم العربي، إذ احتلت هذه المشكلات المرتبة الثانية من أبرز المعوقات التي تواجه حركة البحث العلمي في العالم العربي، فقد أشارت عدد من الدراسات منها دراسة معمريّة في الجزائر إلى أن أهم المشكلات التي

تواجه البحث العلمي في الجامعة هو عدم كفاية الدعم المالي لإجراء البحوث. ففي الوقت الذي يرصد للبحث العلمي من الدخل القومي للدول المتقدمة يتراوح ما بين (2% - 5%) نجد أن نسبة ما ترصده الدول العربية من دخلها القومي لا يتعدى (3.0%)، بل أن البيانات التي أشارت لها الدراسات توضح أن الإنفاق العربي على البحث العلمي يعد إنفاق غير منتج أو بمعنى آخر هو إنفاق لا جدوى منه و هذا فرق كبير يمكن أن ينعكس سلبا على واقع البحث العلمي في العالم العربي لان ذلك يمكن أن يرتبط بتوفر الأجهزة و الأدوات المختبرية، و المراجع و الدوريات العلمية و مدى الإفادة من شبكة المعلومات الدولية و بالمؤتمرات العلمية و بالحوافز المادية للباحثين، و أن من شأن ذلك كله التأثير على حركة البحث العلمي في العالم العربي .

* عدم توفر قاعدة البيانات و المعلومات و غياب المراجع العلمية الحديثة:

يتضح من مراجعة الدراسات السابقة أن عدم توفر البيانات و المعلومات و غياب المراجع العلمية الحديثة احتل المرتبة الثالثة من بين المعوقات البحث العلمي في العالم العربي، فقد أشارت الدراسات مثل، دراسة النجار في المملكة العربية السعودية و دراسة معمريّة في الجزائر و دراسة هواري و لمجدل في الجزائر التي أشارت إلى أن عدم توفر البيانات و المعلومات يعد من المشكلات التي تواجه حركة البحث العلمي في العالم العربي و هذا قد يعود إلى المشكلات الفنية أو التقنية التي تتعلق بمنظومة المعلومات التي تهم الباحث بشكل كبير و مدى جاهزيتها أو ملائمتها للاستخدام الأمثل، فقد أشار النجار في المملكة العربية السعودية إلى أن غالبية الأساتذة الجامعيين من أفراد عينة البحث يرون بان استخدام شبكة المعلومات الدولية أو الانترنت لغرض البحث العلمي مهم جدا و لكنه أشار من جانب آخر إلى أن أهم معوقات استخدام الانترنت هو عدم توفر التدريب المناسب لاستخدام الانترنت في البحث العلمي. كما أن غياب المراجع العلمية الحديثة كان من ابرز معوقات البحث العلمي في الجزائر حسب ما أشارت إليه دراسة معمريّة (2005) و أضاف كل من هواري و لمجدل كذلك في الجزائر قلة الملتقيات و الأبحاث العلمية في الجامعة مما يحد من اطلاع الباحثين على جديد الأبحاث العلمية، و إن من شأن ذلك أن ينعكس على إنتاجية الباحث العربي الذي ظل يعيش حسب ما تصوره الدراسات العربية الميدانية و النظرية حياة العزلة بعيدا عن مصادر المعرفة و منابعها، و بالتالي فان تدني إنتاجية الباحث العربي هي تحصيل حاصل و نتيجة ضعيفة لواقع ضعيف (6) .

و من المعوقات العلمية التي يمكن أن تعيق البحث العلمي تتجلى في ضعف التعاون و التنسيق البحثي فكل يدخل البحث العلمي بمفرده فردا أو جماعة أو مركزا أو جامعة. و يمكن تلخيص أهم المعوقات في البحث العلمي فيما يأتي:

✓ عدم وجود استراتيجيات واضحة في مجال البحث العلمي.

✓ ضعف الإعداد و التأهيل البحثي للباحثين بسبب النمطية و البيروقراطية و ضعف التمويل و انعدام إستراتيجية واضحة للبحوث التي ينجم عنها غياب قوانين واضحة لأهمية البحث العلمي و السعي لتنشيطه و وجود هيئة وطنية فعالة تتابع ذلك ، و يمكن مجابهة ذلك من خلال الاستفادة من تجارب الآخرين بشكل يشمل استقطاب متخصصين في هذا المجال من الدول المتقدمة ، و إعطاءهم قدرا من الحرية.

✓ ضعف قاعدة المعلومات في المراكز البحثية و المؤسسات التعليمية.

✓ الجهل بالمراكز البحثية في الجامعات و ضعف التواصل معها .

✓ إضافة إلى غياب الرغبة و فقدان الدافعية أو ضعف الإعداد البحثي لدى الطالب.

و نتيجة لمسح قامت به لجنة البحث العلمي توصلت اللجنة لمجموعة من العوائق التي تقف أمام الباحثين من أعضاء هيئة التدريس و طالبات الدراسات العليا من وجهة نظرهم ،صنفت في ثلاث محاور أساسية هي:

• معوقات متعلقة بالبحث:

✓ مثل انعدام المراجع ،الدراسات السابقة ،الترجمة ،التطبيق(المواصلات ،الوقت).

✓ عدم وجود الأبحاث المدعومة، و هذا ما يجعل البحث أو الموضوع قيد الدراسة خالي من المعلومات الجديدة التي تزيد القارئ أو الباحث من البحث و العمل أكثر.

✓ غياب التواصل مع مركز البحث .

✓ عدم النشر في الدوريات العربية ، وفي المجالات الأجنبية.

• معوقات تتعلق بالباحث:

✓ مثل: ضعف مهارات البحث العلمي لدى الباحث (اختيار موضوع البحث ،تحديد المشكلة ،الخط بين الأهداف و الأهمية ،وضع خطة البحث...الخ)

✓ كثرة الأعباء لدى الباحث و الانشغال بأكثر من مسؤولية ،كالتدريس و الانشغال بالإشراف على مذكرات الطلبة ....

• معوقات إدارية (بيئة العمل):

✓ مثل التدخل غير المبرر من قبل بعض القادة الإداريين في البحث العلمي،حيث نجد أن بعض الإدارات مثلا ترفض قيام الباحث ببحثه بلغة أجنبية و هذا ما ينقص من دافعية الباحث.

✓ عدم وجود جهة مساعدة للباحث،و عدم وجود مساعدين .

✓ عدم احتساب ساعات بحثية في جدول الباحث خلال قيامه بالبحث .

✓ عدم توفر غرف خاصة بالباحثين.

- ✓ عدم وجود فرص للباحث لحضور المؤتمرات و الندوات .
  - ✓ عدم وجود ورقة حقوقية للباحث تشمل على مفردات تساعده و تدعمه و تزيد دافعيته و تشعره بالتقدير .
  - ✓ عدم وجود الحوافز أو تشجيع للباحث و التي تزيد من تحفيزه للعمل أكثر لإثراء البحث العلمي(7).
- أما عفاف الياور فأشارت إلى أن معوقات البحث العلمي يكمن في :
- ✓ بيروقراطية الإجراءات في الحصول على الموافقة على البحوث الممولة .
  - ✓ ضعف ثقافة البحث العلمي في المجتمع، أي غياب الوعي لدى أفراد المجتمع بما يقود إليه البحث العلمي من فوائد و خاصة من هم في مواقع تؤثر في تنشيط البحث و تثبيطه، فالحياة الإنسانية تتقدم بالبحوث و الدراسات العلمية و تتخاذل عندما يحاصرها المحافظون الذين جل همهم عدم الإفادة من تجارب الآخرين من الأولين أو المعاصرين ، خاصة ممن توصلوا إلى نتائج تقود لتطوير الإنسان نحو الأفضل .
  - ✓ غياب إستراتيجية لتسويق نتائج البحوث، و ذلك بالترويج للبحوث الناجحة بين المستفيدين منها في المجال التطبيقي في الصناعة و التجارة و تطوير المؤسسات و المنشآت الاجتماعية .... مما يرقى بحياة المجتمع ليلحق بالآخرين .
  - ✓ غياب التعاون و التنسيق بين الجامعات و المجتمع في حل المشكلات التي يعاني منها المجتمع .
  - ✓ كما أن عدم إلمام الباحث باللغات الأجنبية و خاصة اللغة الانجليزية و اقتصره في الاطلاع على لغة الأم فقط قد يؤدي إلى :

* محدودية في الرؤى ، حيث لا يستطيع الإلمام بجميع المعلومات الخاصة بالموضوع .

* تكرار الأفكار و الطرح ، و هذا راجع إلى قلة المراجع و المعلومات، فنجد في كل مرة تكرارا للمعلومات و الأفكار .

* عدم حداثة المعلومات، حيث نجد أن معظم الكتب أو المراجع المستعملة قديمة حيث لا وجود لمعلومات جديدة تثري الموضوع المراد دراسته .

* استخدام مراجع مستهلكة، حيث نجد أن معظم الباحثين في مجال أو تخصص معين استخدموا نفس المراجع .

*ضعف في الصياغة و ضعف في الترجمة، إذ نجد أن المراجع المترجمة بلغة مغايرة ليس له نفس المعنى مع اللغة الأصلية. أي تغيير المعنى و المفهوم (8).

أما أسماء الاهدل فترى أن من بين معوقات البحث العلمي :

*ضعف التحفيز و التشجيع للطلبة أو حثهم على البحث و الابتكار ، بحيث يميل بعض أعضاء هيئة التدريس إلى حجز الطلبة ضمن المذكرات و المعلومات المكررة بالأساليب التقليدية التلقينية بلا محاولات لحضهم على الاستنباط و التقصي أو تشجيع المناقشات و إبداء الآراء أو تنمية مهارات التفكير و المشاركة. *كثيرا ما يكون الإعلان عن الأنشطة العلمية ضعيفا و غير معمم بكفاءة، و ذلك يرجع بسبب أساسي إلى انخفاض الميزانيات المخصصة لذلك .

*بعض الطلبة غير مهئين للاستفادة من الإمكانيات المتاحة بالجامعة، إما لنقص في الخبراء أو انه لا يبدي حماسا إلا لتقديم الامتحانات و إحراز علامة تمكنه من اجتياز المقرر فقط (9).

المقترحات:

للتقليل من المشاكل التي يعاني منها البحث العلمي في العلوم نقتراح بعض الحلول منها:

1- لابد على المؤسسات التربوية أن تمارس دورا فاعلا في إعداد الأساتذة بشكل يؤهلهم للإفادة من الثورة المعلوماتية عبر تدريبهم على استخدام التقنيات و البرامج الحديثة للاطلاع على المراجع مصادر المعلومات في شبكة المعلومات الدولية عبر إقامة دورات تدعم جوانب الضعف و تعد الباحث بالشكل الأمثل.

2- على المؤسسات الحكومية ذات العلاقة رسم السياسات و وضع الخطط عبر هيئات استشارية علمية تخصصية يمكن أن تسهم في حل الكثير من المشكلات التربوية و التنموية.

3- تحديد وسائل لتمويل الأبحاث و تشجيعها.

4- الالتزام بالمنهج العلمي في كافة مراحل البحث و خطواته.

5- تشجيع الباحث المتميز و تكريمه من أجل العمل أكثر و الاستفادة منه.

الهوامش :

1- عناية، غازي حسين(1990):مناهج البحث العلمي في الإسلام ،بيروت ،دار الجبل.

2- عماد البرغوث (2007): مشكلات البحث العلمي في العالم العربي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الخامس.

3- زيتون عايش (1995): أساليب التدريس الجامعي، عمان، دار الشروق

4- على البومحمد (2012): واقع البحث العلمي في العالم العربي و معوقاته، المؤتمر العربي الدولي الثاني لضمان جودة التعليم العالي.

5- عبد الله محمد زطلة (2001): حلقة البحث في الجامعات و المعاهد العليا، دار الفكر العربي.

5- عفاف اليارو (1983): ندوة بعنوان معوقات البحث العلمي.

6- نفس المرجع السابق (4)

7- انتصار سالم الصبان (1982): البحث العلمي، ندوة بعنوان معوقات البحث العلمي في العالم العربي.

8- عفاف اليارو (1983): ندوة بعنوان معوقات البحث العلمي.

9- أسماء الاهدل (1983): تحديد معوقات البحث العلمي التربوي.